

تفسير البحر المحيط

@ 375 @ .

هذه السورة مكية . ومناسبتها لما قبلها : أن في آخر ما قبلها قوله : { كَلَّا - بَل لَّا -
يَخَافُونَ - الْآخِرَةَ * كَلَّا - إِنَّ رَبَّهُ تَذَكُّرَةٌ } ، وفيها كثير من أحوال القيامة ،
فذكر هنا يوم القيامة وجملاً من أحوالها . وتقدّم الكلام في { لَّا - أُقْسِمُ } . والخلاف في
لا ، والخلاف في قراءتها في أواخر الواقعة . أقسم تعالى بيوم القيامة لعظمه وهو له . و {
لَّا - أُقْسِمُ } ، قيل : لا نافية ، نفى أن يقسم بالنفس اللوامة وأقسم بيوم القيامة ، نص
على هذا الحسن ؛ والجمهور : على أن أقسم بالأمرين . واللوامة ، قال الحسن : هي التي
تلوم صاحبها في ترك الطاعة ونحوها ، فهي على هذا ممدوحة ، ولذلك أقسم الله بها . وروي
نحوه عن ابن عباس وعن مجاهد ، تلوم على ما فات وتندم على الشر لم فعلته ، وعلى الخير
لم لم تستكثر منه . وقيل : النفس المتقية التي تلوم النفوس في يوم القيامة على
تقصيرهن في التقوى . وقال ابن عباس وقتادة : هي الفاجرة الخشعة اللوامة لصاحبها على
ما فاته من سعي الدنيا وأعراضها ، فهي على هذا ذميمة ، ويحسن نفى القسم بها . والنفس
اللوامة : اسم جنس بهذا الوصف . وقيل : هي نفس معينة ، وهي نفس آدم عليه السلام ، لم
تزل لائمة له على فعله الذي أخرجه من الجنة . قال ابن عطية : وكل نفس متوسطة ليست
بمطمئنة ولا أمارة بالسوء فإنها لوامة في الطرفين ، مرّة تلوم على ترك الطاعة ، ومرّة
تلوم على فوت ما تشتهي ، فإذا اطمأنت خلصت وصفت . انتهى . والمناسبة بين القسمين من
حيث أحوال النفس من سعادتها وشقاوتها وظهور ذلك في يوم القيامة ، وجواب القسم محذوف
يدل عليه يوم القيامة المقسم به وما بعده من قوله : { أَيْحَسِبُ } الآية ، وتقديره
لتبعثن . وقال الزمخشري : فإن قلت : قوله تعالى : { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ } ،
والأبيات التي أنشدتها المقسم عليه فيها منفي ، وكان قد أنشد قول امرء القيس : % (لا
وأبيك ابنة العامري % .
لا يدعي القوم إني أفر % .
%) .
وقول غوية بن سلمى : % (ألا نادى أمانة باحتمالي % .
لتحزني فلا بك ما أبالي .
%) .

قال : فهلا زعمت أن لا التي للقسم زيدت موثقة للنفي بعده ومؤكدة له ، وقدرت المقسم عليه المحذوف هنا منفيًا ، نحو قولك : { لا أُقسِمُ بريوْمِ القِيَامَةِ } ، لا تتركون سدى ؟ قلت : لو قصروا الأمر على النفي دون الإثبات لكان لهذا القول مساغ ، ولكنه لم يقسم . ألا ترى كيف لقي { لا أُقسِمُ بهَذَا الِجِلَادِ } بقوله : { لاَقَدُ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ } ، وكذلك { فَلَإِ أُقسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ } ، { إِنْ زَنَّهُ لَاقْرَأَهُ كَرْيَمٌ } ؟ ثم قال الزمخشري : وجواب القسم ما دل عليه قوله : { أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ لَنْ * نَجْمَعَهُ عِظَامَهُ } ، وهو لتبعثن . انتهى ، وهو تقدير النحاس . وقول من قال جواب القسم هو : { أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ } . وما روي عن الحسن أن الجواب : { بَلَى قَادِرِينَ } ، وما قيل أن لا في القسمين لنفيهما ، أي لا أقسم على شيء ، وأن التقدير : أسألك أيحسب الإنسان ؟ أقوال لا تصلح أن يرد بها ، بل تطرح ولا يسود بها الورق ، ولولا أنهم سردوها في الكتب لم أنبه عليها . والإنسان هنا الكافر المكذب بالبعث . روي أن عدي بن ربيعة قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم) : يا محمد ، حدّثني عن يوم القيامة متى يكون أمره ؟ فأخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم) ، فقال : لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أؤمن به ، أو يجمع الله هذه العظام بعد بلاها ، فنزلت . وقيل : نزلت في أبي جهل ، كان يقول : أيزعم محمد صلى الله عليه وسلم) أن يجمع الله هذه العظام بعد بلاها وتفرّقها فيعيدها خلقا